

المسترشدون الزراعيون

أولاً : خصائص المسترشدون

فيما يلي بعض الخصائص الاجتماعية والسيكولوجية لسكان المجتمعات الريفية بصفة عامة مع التركيز بصفة خاصة على المسترشدين الزراعيين :

١- التعلق الشديد بالأرض

يرتبط المزارع ارتباطاً عاطفياً شديداً بالأرض وتعني ملكيتها له الشيء الكثير، لأن الأرض تشكل مصدر رزقه الأساسي وضمان له ولأولاده في المستقبل، ومما يدعو إلى الارتباط القوي بالأرض ما تحمله ملكيتها من مكانة اجتماعية له، وما يزيد قوة هذه العلاقة ندرة الأرض الزراعية .

٢ - احترام كبار السن

تتصف المجتمعات الريفية عموماً بإعطاء قيمة كبيرة لكبار السن ، سواء كان ذلك داخل نطاق الأسرة الواحدة ، أو المجتمع الريفي المحلي بصفة عامة ، وهذا أمر بديهي في المجتمعات التقليدية غير المتطورة التي يكون فيها أحد العوامل المحددة للمركز الاجتماعي للشخص في القرية ما تجمع لديه من خبرات وتجارب في الحياة، وبما أن الحياة مستمرة للأجيال تكتسب تلك الخبرات المحددة المتجمعة ، بالإضافة إلى ذلك فإننا نجد قوة التقاليد الاجتماعية في المجتمعات الريفية وما تنادي به من إعطاء الوالدين ومن في مستواهم تقديرهم الصحيح .

٣- التعاون غير الرسمي المتبادل

تتميز المجتمعات الريفية بوجود نوع من التعاون المتبادل بين الأسر الريفية، ولا يأخذ هذا النوع من التعاون طابعاً رسمياً، بل الأعراف والتقاليد الريفية هي التي تحكم التعاون القائم بين الأسر الريفية، ويأخذ هذا النوع من المساعدة صوراً متعددة مثل صورة العمل الجماعي في بعض العمليات الزراعية كزراعة أو جني المحاصيل، واستخدام الوسائل والآلات الزراعية ويظهر ذلك جلياً بين أسر الأقرباء، كنا نلاحظ وجود هذا التعاون المتبادل أيضاً في بعض المناسبات مثل الأفراح والمآتم وعند حلول الأزمات والشدائد، ونتيجة التطور في الوقت الحالي بدأت بعض مظاهر هذا النوع من التعاون تضعف ويضيق نطاقها، وأصبح العنصر المادي متحكماً فيها .

٤- الاتجاهات التقليدية

تمتاز المجتمعات الريفية التقليدية بتمسك أهلها واحترامها الشديد للتقاليد القديمة والموروث الفكري عن الآباء والأجداد، وإن كثيراً من هذه التقاليد ترتبط ببعض القيم الدينية المقدسة ، وهي موضع احترام الأبناء لما تحمله في طياتها من أحكام مبنية على ما خبره الآباء والأجداد في حياتهم ، وما مروا به من تجارب أثبتت سلامة ما يقومون به من أفعال، وتتفاوت المجتمعات فيما بينها في درجة تمسك أهلها بالتقاليد القديمة ، ويتوقف ذلك على مقدار تمسكهم وقوة الرابطة بينهم في مواجهة ما يتعرضون له من تيارات حضارية ووسائل اتصال وأفكار حديثة ، ففي المجتمعات المنعزلة جغرافياً وفكرياً وذهنياً نجد الأفراد ينظرون إلى الجديد بنوع من الشك والارتياب وعدم الطمأنينة، أما في الوقت الحاضر فقد تعرض المجتمع الريفي لكثير من الوسائل الإعلامية وأنواع الاتصال بالهيئات الحكومية التي تقدم خدماتها للريف ، وهذا بالتالي يترك مجالاً لبعض الأفكار الجديدة لتحل محل التقاليد القديمة .

٥- ضيق الآفاق المعرفية والفكرية

يرتبط ذلك ارتباطاً وثيقاً بالانعزالية التي تعيش فيها المجتمعات الريفية واستمرار حياتهم على نفس النمط والوتيرة دون تجديد أو تغيير، وبالتالي الجمود الفكري في حياة الريفيين وتمسكهم الشديد بالتقاليد الموروثة لا يترك مجالاً لتوسيع آفاقهم المعرفية والاستفادة من الخبرات الحديثة في تطور مجتمعاتهم .

٦- القناعة

تتصف المجتمعات الريفية التقليدية بالقناعة بما وهبهم الله، وهم راضون بحالهم، ويعطيهم ذلك شعوراً بنوع من الأمان الاقتصادي في معيشتهم ، حيث لم تتح الظروف لهم رؤية غيرهم من الناس الذين يعيشون عيشة أفضل حتى يحفزهم ذلك على العمل لتحسين أحوالهم المعيشية وتطويرها ، ولكننا نلاحظ في الوقت الحاضر نتيجة التغيرات الحاصلة في المجتمع الريفي وإحساس المزارعين بمتطلبات وحاجات معيشية متزايدة ، وتنافسهم الظاهر في ميادين وأوجه نشاط مختلفة ساعين بذلك إلى الارتقاء بمستوياتهم المعيشية ، وتحقيق حياة أفضل وليس أدل على ذلك من تغيير نظرهم إلى الحياة، ومثال على ذلك نظرهم إلى الهجرة للعمل بالمدينة وتعليم أولادهم وتجنيد أبناءهم في الجيش وغير ذلك .

٧- عدم الميل إلى الهجرة

توجد صلة وثيقة بين ميل الريفيين إلى عدم ترك العمل الزراعي وأسرههم وقراهم وبين ما سبق ذكره من صفات تميز سكان المجتمعات الريفية وأهمها التعلق الشديد بالأرض والانعزالية الفكرية والثقافية للقرى، وبالتالي ضيق آفاق المزارعين المعرفية والفكرية وتخلفهم من النواحي التعليمية، ومن ثم نجد أن خبراتهم ومهاراتهم محدودة وتقتصر على العمليات الزراعية التقليدية فقط ، وبالتالي فإن حياتهم الاجتماعية تسير في نظام رتيب دون أي تطلع إلى العمل في مجالات أخرى زراعية خارج قراهم نظراً لما تتطلبه مثل هذه الأعمال من استعدادات وخبرات ومهارات خاصة .

٨- نظرة الريفيين إلى الحضريين

من المعلوم أن كثيراً من القرارات الأساسية التي تمس الحياة الريفية وتؤثر فيها عادةً ما تأتي من الخارج؛ أي يتم وضعها في المناطق الحضرية، وعلاوة على ذلك فإن القروي لا تقف حدود قصوره وعجزه في أن ليس لديه أية سيطرة على القرارات المتخذة في المناطق الحضرية الخارجية، لكنه في كثير من الأحوال لا يعلم كيف أو لماذا وضعت تلك القرارات ، فالأوامر والضرائب والجزاءات كلها مفروضة عليه من الخارج ، ورغم حاجة المزارع للمدينة إلا أنه يشعر دائماً برهبة من أهلها، ويعتقد أن الحضريين بمعارفهم وذكائهم يمكنهم استغلاله والاستفادة منه لكن نلاحظ مؤخراً أنه نتيجة للتغيرات الاجتماعية في المجتمع المحلي بفضل التعليم وانتشار التكنولوجيا ووسائل الإعلام والاتصال ارتفع المستوى الثقافي والتعليمي للريف، وتغيرت نظرة الريفيين إلى الحضريين وأصبح هناك نوعاً من التقارب والتفاهم والتعاون المبني على الثقة ولعبت المنظمات والمؤسسات العاملة في الريف دوراً مهماً في اختصار المسافة الاجتماعية بين الريفي والحضري خاصةً جهاز الإرشاد الزراعي الذي درّب القادة المحليين والمزارعين، وأعطى الفرصة للمزارعين بالمشاركة في تخطيط وتنفيذ برامجهم وأنشطتهم الإرشادية الزراعية التنموية.

٩- نظرة الريفي إلى المسؤولين الحكوميين

إن نظرة الريفي إلى الهيئات الحكومية وما تقدمه من برامج إصلاحية قد تتصف بنوع من الشك وعدم الثقة خاصة في بادئ الأمر، لأنها تختلط بما لمسّه المزارع من خبرات غير مشجعة من المسؤولين الحكوميين والمنفذين للقوانين، وبالتالي يصعب هذا على المختصين في التنمية والمرشدين الزراعيين القيام بدورهم في تحسين مستوى معيشة المزارعين، والمزارعون عادة ما يكونون معذورين في مثل هذا السلوك، لأن نسبة كبيرة منهم تعيش في فقر شديد نتيجة الاقتصاد الريفي غير المنتج، فمواردهم الزراعية محدودة والأساليب الإنتاجية المتبعة قديمة وغير متطورة وبذلك فلا بد أن يكون المرشد الزراعي واثق تمام الثقة من أن ما يوصي به من وسائل محسنة ستؤدي إلى رفع مستوى معيشة المزارع، والنهوض بالمجتمع القروي، وإلا فإنه سيلقى فشلاً ذريعاً في مهمته، وتغيرت نظرة الريفي إلى المسؤولين الحكوميين في النصف الثاني من القرن العشرين، وبدأ ينظر إلى الجهاز الزراعي في أي تنظيم زراعي له علاقة بالريف أنه جهاز خاص لخدمته وتحسين مستوى معيشته، وينظر إلى طبيب الوحدة الصحية أنه جاء إلى القرية من أجل خدمة المزارعين

١٠- النظرة إلى تأمين المستقبل

سبق أن أوضحنا أن المزارع بصفة عامة كان حتى عهد قريب قانعاً وراضياً بما توفر لديه من أسباب الحياة، وذلك نتيجة عزلته ومحافظةه على التقاليد، وتعلقه الشديد بالأرض، وعدم استعداده إلى ترك مهنته أو قريته، ونتيجة ضيق آفاقه المعرفية والثقافية وخبراته ومهاراته المحدودة ، وفي ضوء تلك الاعتبارات فإنه لا يتحمس كثيراً للتخطيط لمستقبله ومستقبل أولاده خاصةً إن كان دخله محدوداً لا يكاد يكفي مطالب الحياة الضرورية، بالإضافة إلى ذلك لا ينظر عادة إلى المستقبل نظرة أمل وتفاؤل ، وقد يكون سبب ذلك في ما يلاحظه من تضاؤل الملكيات الزراعية وتفتتها جيلاً بعد جيل، لكن الوضع الحالي يختلف بعض الشيء خاصةً إذا ما أمكن للمزارعين تعليم أبنائهم واكتسابهم مهارات جديدة تسهل لهم ترك الريف إلى أعمال غير زراعية تتيح لهم حياة معيشية أفضل .

١١ - حجم الأسرة

تتسم الأسر الريفية بزيادة عدد أفرادها وذلك لعدة أسباب منها سيادة نظام الأسر المركبة، وظاهرة تعدد الزوجات ، والتشجيع على إنجاب الأطفال كعزوة وكمصدر دخل للأسرة (عمالة بشرية)، إلا أن الملاحظ حالياً في كثير من القرى سيادة نظام الأسرة قليلة العدد ويعود ذلك إلى انتشار التعليم في الريف ودور برامج تنظيم الأسرة، وارتفاع تكاليف المعيشة، وانتشار الميكنة الزراعية كبديل للعمل البشري .

١٢ - اتخاذ القرارات الأسرية

كانت السمة الغالبة في الأسر الريفية قديماً هي انفراد الأزواج باتخاذ القرارات الأسرية من شراء وبيع الأراضي والحيوانات الزراعية وزراعة أنواع المحاصيل والقرارات الاجتماعية بشأن زواج الأولاد والسكن وما شابه ... ، لكن في الوقت الحالي تغير الوضع في كثير من القرى وأصبحت الزوجة تشارك الزوج في اتخاذ معظم القرارات الأسرية.

١٣- الزواج المبكر

يحدث الزواج في الريف في سن مبكرة لكلا الجنسين على حد سواء، وذلك بسبب الارتباط بالتقاليد والأعراف، وضبط حياة الفرد بالمجتمع الريفي الذي يعتمد في الحكم على الناس من خلال المعايير الشخصية، إضافة إلى التطلع لكثرة الأولاد كيد عاملة غير مكلفة، وتكاليف الزواج ورعاية شؤون الأسرة تكون ميسرة ومقدور عليها إذا كان الزوج عضواً في الأسرة المركبة .

١٤- تعدد الزوجات

ظاهرة اجتماعية تسود في الريف بسبب بساطة الحياة وجهل الرجال بالمفاهيم الاجتماعية، حيث ينظرون إلى تعدد الزوجات بأنه جوهر الرجولة، كذلك لزيادة عدد الأيدي العاملة من الأبناء وتكوين أسر مركبة .

ثانياً : العادات والتقاليد والقيم الريفية

تعدّ عادات المجتمع وتقاليد وقيمه جزء من تراثه الحضاري، وتصاغ أحياناً

في جمل سجعية على شكل أمثال شعبية عامية يسهل حفظها وتناقلها بين الأفراد ومن

مكان إلى آخر ومن جيل إلى جيل وتقسم العادات والتقاليد إلى مجموعتين أساسيتين

هما : الأولى إيجابية أو مرغوب فيها ، والأخرى سلبية أو غير مرغوب فيها ، ونظراً

لأهمية الأمثال الشعبية فقد حرص بعض المهتمين بذلك على جمعها وتدوينها

وتفسيرها وبيان آثارها على برنامج التنمية .

ومن المبادئ والأساسيات المهمة التي ينبغي مراعاتها والاسترشاد بها في تخطيط ووضع البرامج الإرشادية على أسس سليمة مبدأ وضع البرامج في ضوء الظروف المحلية السائدة، وعلى أساس تحليل الحقائق الخاصة بالوضع القائم في المنطقة التي سينفذ فيها البرنامج الإرشادي ، وينطوي ذلك على تجميع حقائق وبيانات من الريفيين مثل مستوياتهم التعليمية والمعيشية والحيارات الزراعية وعاداتهم وتقاليدهم واتجاهاتهم وحاجاتهم واهتماماتهم ودوافعهم ... الخ ، وبعد ذلك يتم إعداد البرنامج الإرشادي الزراعي في ضوء ذلك، وتعد المعرفة والاستناد إلى العادات والتقاليد السائدة والأمثال الشعبية ركناً أساسياً في نجاح البرنامج لتعديل سلوك المسترشدين ، وتحقيق أهداف البرنامج الإرشادي، وتوفير الكثير من وقت المرشد الزراعي في إقناع المزارعين بتبني الأفكار والأساليب الزراعية الحديثة .

وفيما يلي بعض الأمثال الشعبية الزراعية السائدة في المجتمع الريفي السوري :

اعتمد على حمارك أفضل من الاتكال على حصان جارك

- زراعة الوحل وحل
- العليقة وقت الغارة خسارة
- يطعمك الحج والناس راجعة
- لا تحسب الفول غير مكيول
- الأرض لمن يعمل بها

• زرعنا الزرع وما حصدنا، وغيرنا حصد وأكل

• خبي القرامي الكبار لأذار

• آذار الهدار

• آذار أبو الأمطار

• زمن الحصيد كنت عم تغني قصايد

• كل شي بالأمل إلا الزراعة بالعمل

• شهر أيلول ذيلو مبلول

- أعطِ الأرضَ تعطيك
- اجرحني ولا تفلحني (أهمية تقليم أشجار الزيتون بالمفاصلة مع الحراثة إذا كان هناك فروع مريضة ويابسة وخلفات أسفل الشجرة)
- ازرع ولا تقطع
- شيل عني خيي وخود موسم مني (هذا المثل يشير لأهمية تفريد أغصان الزيتون وعدم تركها متزاحمة ؛ أي أهمية تقليم الإثمار)
- كما تزرع تحصد

المراجع

- ١ - الطنوبي، محمد عمر (١٩٩٨) - مرجع الإرشاد الزراعي . دار النهضة العربية للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، ٨٧٧ صفحة .
- ١ - الطنوبي محمد عمر، عمران الصادق سعيد (١٩٩٧) - أساسيات تخطيط وتنفيذ وتقييم البرامج الإرشادية الزراعية . منشورات جامعة المختار، الطبعة الأولى، البيضاء، الجماهيرية العربية الليبية، ٣٠٣ صفحة .